كتاب
المسالك والمسائل

1 – نهايات الجسد / سيادة الفراغ

إذن...
سأكشف لك عن قبَّة الجسد
وأعرِّي تفاحةَ الهواء فلا تبتئسْ وقل لي:
من أنت أيها السيدُ حتى أهبك المرأة التي شغلتك وتقول ليْ
عندئذٍ من هيْ؟
هذه بدايةُ الرغبةِ وسماءُ المعرفةِ
فاخلع نعليك إذن وتوكأ على هواءِ الإراداتِ وفتوحاتِ الاسمِ
كيف أتبع نجمةً وحيدةً في فضاءِ الجسدِ
وأدور كالضلِّيل بين المادة وفراغ المادة
وأزيِّن لنفسي ما بالخرابِ من بهاءٍ وتخيلاتٍ؟
واقفٌ أنت أيها السيد على حافَّة الجسد ترقب تحولات الروح
وانحسار السماوات عن صيرورة الأرض
وتمسك بخيطِ الشهوةِ هل تجد على النار هدى؟
هذه بقيةُ العبارةِ:
تخرج المرأةُ من غسقِ الليلِ وتنتظر عند بوابة النهار
فتمنح الجسدَ بقية الاحتمالاتِ بماله عند كل ذكرٍ وأنثى من
معنى هو بقيةُ الكلامِ
ومن كلامٍ هو بقية المعنى والشمسُ واقفةٌ على جسم المرأة بالرؤى
والتخيلاتِ
وقطاف المرأةِ منفرطٌ على أكمام الرجل وانبجاساتِهِ
فتلتقي الذاكرة عند سماءٍ ما
وتقوم بين كمونِ الرغبةِ وشهوةِ المعرفةِ
هل تفرِّق الذاكرةُ بين غيبوبةِ الشمسِ
في وضح النهار وغيبوبةِ النهارِ على مكامن الجسدِ
وتوجساتِه؟
هل تنفجرُ سماءٌ ما
وينفرطُ كلام الرجلِ على جسمِ المرأة أقاويلَ من تفتحاتٍ وأعنابٍ

وهي لمَّا تزل تراجعُ كلام الجسدِ للجسدِ
وتخلط عشب الصدر بوبر الساق وعرقَ السرةِ بقطيفة النهدين
وتقول لسماء المخيلة:
هل يختفي النهارُ في برعمِ الليلِ
ويختفى الليلُ عند حافة النهارِ
وأنا بين الليلِ والنهارِ كوكبٌ ناتئٌ
وسماءٌ منطفئةٌ في أرضٍ ذات أبعادٍ
ومسمياتٍ..؟؟
إذن
سأنفتح على سماءِ الجسد وأمتطي صهوةَ المخيلةِ لأفتح ما
بغرف الجسد من مغاليق
وأنتظر عند حافة الأوقات
هل ترتكب السماءُ خطيئةً ما
وتكشف لي عند شجرةِ الجسدِ الجامعةِ عن حقيقةِ ما يسمى بالليلِ
وما يعرف بالنهارِ
وكيف يكون قطافُ الجسدِ للجسد وهو مثقلٌ بالثمر والبرتقالات؟
تلتقي الشمسُ على عريشة الجسد وهي ثملةٌ وسكرانةٌ
فلا تعرف الشمس كيف يمكن لجسدٍ ما أن يحتمل تزاوجَ الليلِ والنهارِ
هكذا
على مرأىً ومسمعٍ من عُشْبِ الجسد وتفتحات السُّرة
والجسدُ واقفٌ بينهما بالتهاليلِ..
هذه بقية العبارة:
أنتظر عند حافة الجسدِ وأنا عارفٌ بمواعيدي
وأظل هكذا غارقًا بين النومِ واليقظةِ إلى أن أرى شجرةً تخرج من
فضاءِ الجسدِ
وبها من النهار أبنيةٌ
وتصدعاتٌ...
وأكشف عن جزيرةٍ غارقةٍ على ساحلِ الجسدِ وعليها رجالٌ
ونساء يقفون صفوفًا صفوفًا

ويرتلون بأدعيةٍ
وكلامٍ لا يحمل نكهة الحروف
ولا يخرِج من تحت صدف اللسان
بل لَهاةٌ
وتو
ا
شجاتٌ
سأقول للريحِ: هيئ عرشك ليْ
وأغادر الأرض وأَقِف على حافة السماواتِ
هنا سأبتني بيتـًا ليْ
وأهب كل امرأةٍ زاكيةٍ بعضـًا من اللُّبان والبخور
وأقيم – في الفضاء – صلواتي – إلى أن تشرق على حافة الجسد وإفاقات الموتى
وتنطلق صُراخات
بلا أدعيةٍ
(1) – هذه هي هجرتُهُ الدائمةُ
يخلع عن نفسهِ فضاءَ الكتابةِ ويتحول إلى زمنٍ ذي أبعادٍ
ونتوءاتٍ وما بين جسدِ المرأةِ والمرأَةِ
يفتش عن حفرياتِهِ
ويقيم شعائرَهُ
هذه هي هجرتهُ الدائمةُ...
يتحول إلى حجرٍ ويفضي بكلماتهِ إلى الريحِ ويقيس الأبعادَ بما في الذاكرة من خرائبَ
وينتظر الروح عند قارورةِ المادةِ
وقرب دائرةٍ ما
وفوق أرضٍ أخرى يقيم انكساراتِهِ ويبحث عن تناقضاتِهِ وآفاقهِ...
وما بين فضاء المرأة وسُرَّتها يخبئ كواكبَهُ
سيختفي في سماءِ المخيلةِ إلى أن يركب عربةَ الزمنِ
ويسوق اللحظة إلى قواقعِ المعرفةِ ودفاترِ الفقدِ

وذلك بإيعازٍ من جسدٍ ما
ويقيم على شفا جُرُفٍ هارٍ
علاقةً خاصةً بين الأسماءِ والمسميات ويخرج على إلف العادةِ
وهيولى الموت
ليقشر اللحظاتِ إلي آمادٍ وأزمانٍ
سينسى ما يسمى بالموت وما يعرف بالحياةِ ليصنع حياته الخاصةَ
وموته الذي يليقُ بهِ
ويحتفل بكل ما هو جدير وإنسانيّ
ليس هناك من زمنٍ سوى ما يعرفه أو يغوص فيه
سيعرف أن للحب وقتًا وللموت وقتًا آخر
وما لا يعرفه فهيولى وترهاتْ
سينسى أن للحجرةِ جدرانًا وأن للسماءِ لازورد الغيابات
وأن للمرأةِ قطيفةً تسمى الرغبةْ
ويتذكر أن امرأةً ما هو يعرفها بسيماها
وهي لا تعرفه
فلا تقوم عند أحدٍ ولا تقدم له من نعمةٍ إلا ابتغاء المودة في القربى
واشتهاءات السهر اللذيذ
إذنْ...
سأرحل خلف الجسدِ وليس عليّ من فتوحاتِ الليلِ
غير قمرٍ
وحيدٍ
ونجمةٍ ضالةٍ
وأحمل خطاياىَ
وأهشُّ بها على كواكبي الغارقةِ وقاراتي الطافيةِ
وأنتشل من سماءِ المخيلةِ سمكًا غارقًا وقمراً مخنوقًا محتضراً
وأنزل إلى أرضِ الوقتِ
فتنحدر صخور الذاكرة باتجاه غورٍ ما
(2) – أتخذ من النوم رفيقًا ليْ
وأعلن عن توافقاتِ كائناتي الضالة وقطَطِ الفخار المهشمةِ ومملياواتيْ

وأقترب من مقابساتِ الروح الأولى
وأترك ما أحملُ من فراغٍ يقال عنه الزمنُ
حتى يأذنَ الجسدُ ليْ
وأجلس أمام عربة اللذةِ الخاويةِ حيث لا حولَ ليْ وأدلِّي ساقيَّ للريحِ
وأصغي إلى البهاءِ ذي التناقضات
وأتلفع بعباءةِ الجسدِ الواطئة الشاهقةِ
وأتشبث بمراكبي الغارقةِ
إلى أن تطلع الشمسُ على صحراواتيَ وكثبانيَ المنخفضةِ
ومجراتيْ
عندئذٍ
يدخل الجسدُ متلفعًا ببهاءِ الرغبةِ
ويفصح عن سماواتِ الروحِ ومسار الأزمنةِ ومخابئِ الموتِ والحياةِ
وليس لي عليه من سلطانٍ
فلا أحدَ إلا هو
وأتلكأ أمام كائناتي الضالةِ وألهو بمملياواتيْ
وأمكث في قاعِ الجسدِ غريقًا
فأمسك فراغَ الجثثِ
وأتدلى كالهاويةِ..
وأدحرجُ الزمنَ عربةً خائخةً عند حافّةِ السماءِ
إلى أن تطلع الشمسُ من مغربها وتتلكأُ عند هوَّةِ الجسدِ
حيث تنفجر البالونةُ الصغيرة التي تسمى الأرض
هنا
سأنطلقُ إلى مسمياتيْ
وأضع على خارطةِ الليل أنشوطةَ النهارِ فأعبر الأقاليم والأقاصي
وأدخل طقسَ امرأةٍ ما
وأتلفع بغبارِ الشمسِ ووحلِ المسافاتِ
وأخدش حياءَ الذاكرةِ ببهاءِ الجسدِ وأمثولاتِهِ
وأنفتح مثل قارةٍ غارقةٍ على سماءٍ بهيجةٍ
وقمرٍ وهاجٍ

وأنصب فخاخ سُنني لأكورَ الليل على النهارِ وأكور النهارَ على الليلِ
وأقطف زهرةَ الجسد الرابية
وأمام مسامّ النشوةِ أقف خائفـًا وأنصب مرافئ السكينةِ وأمسك
بالريح ذات الأوتاد
فتتلصص أرض الجسدِ الرطبةِ على سفينةِ الجسدِ الرطبةِ
وتنزلق إلى مرافئَ غير آمنةٍ
وواطئةٍ
ولا تنحرف دائمـًا هكذا
وأنا أصعد خلف صنارةِ الجسدِ وأهبط كسمكةٍ جائعةٍ
لا تقوم إلا على رمل البحيرات وتحتمي بالحوافِّ والتوافقاتِ
كيف أصنع قانون الجسدِ وأحدِّدُ له تضاريسهُ
وأقترب قليلاً من هوَّة الروحِ
وهو واقفٌ على سقَّالة الخوفِ ما بين قصديرِ الجنسِ ونحاسِ الرغبةِ
الأخاذِ
وليس لديه سوى المداومة إلى أن يموتَ
ويعترف بالخرابِ والفجيعةِ
كيف أقتنص من اللغةِ ما يتسق وكمالاتُ الرغبةِ وأُنسُ الصعودِ والهبوطِ
إلى أن أرى الجسد كالحقيقة
وليس له من لغةٍ سوى الإشاراتِ أعرفه بها من لغاتهِ العديدةِ
وكلامِ الرمزِ
في السماء ذات البروجِ
ها هي لحظة الوقوفِ إذَنْ..
(أ)- أكون حجراً
وأرسم نتوءاتِ البيوتِ ومرايا الجسد ذي المربعاتِ
والمثلثاتِ
(ب)- أكتب أغنيتي الأخيرةَ على مهابِطِ الجسدِ
ومصاعدهِ
(ج)- سأغني بنفس الحروفِ التي آلفتموها وألقيتموها علي
سراويلِ الزمنِ

ومحفَّاتِ الريحِ
وبقعتموها بالاجتراراتِ والهشاشةِ
(د)- أكتب عن مهاوي المرأةِ التي عريتموها عن كل نكهةٍ وأصعدُ
إليكم وأنزل لتفتشوا عليّ
وعندما أجيئكم
تنطلقون كالغَيَابَاتِ إلى حدائقِ الغبار ومتاهاتِ الأسماءِ
(3) - أعشابي طالعةٌ من تحت سماءِ الإبطينِ
جسمي - هذا الأملودُ الأخضرُ - ملتحفٌ بقميصك حين تقوم وحين تنام
وحين تكون على مقربةٍ مني
وأنا ساجيةٌ قدامك تتملانيْ
عشرةُ أقمارٍ فوق جبين الأنثى والرجلِ الخارجِ من تفاحات الوقتِ
وصلصال الشهوةِ
ثَمَّ يمام فوق الأرضِ
يخرج طيرٌ من بين الجسدين الملتحمينِ على عجلٍ
ويطير إلى أن يبلغ حدَّ الجسدينِ الملتحمينِ على عجلٍ
هل يرقص مذبوحًا
ومضاءً
ذاكرةٌ من توتٍ وعنيباتٍ
قمرٌ فوق فضاءِ المرأةِ
حين يجن الليلُ سيخرج من أعماقي قمرٌ ملغومٌ بالرغبةِ
فتقوم الأنثى
شاردةً في الوقت
وصارخةً في البرية
آ... آ... آه.. سيعود للإبحارِ إذن
لم يشأ أن يغرق المراكبَ الطافية قرب خليجِ الجسدِ ويلقى
بقلوعهِ إلى الريحِ
وهو غير مسؤولٍ عن ذلك
ولا هي مسؤولةٌ..
هل من سماءٍ ثامنةٍ فيرتقي إليها درجَ الفتوحات؟

يجعل للهواء أنبوبةً ماصَّة تسمى الريح وبها يثبت ما يشاءُ ويمحو ثم
يكتب أخطاءَهُ فيمحو ما يثبتُ من ذكرياتٍ
وعلى شجرِ الذاكرة يخطُّ بعلامةٍ على الرخام السماويِّ
ويمسك الأرضَ من أطرافِها ويصير تخوم امرأةٍ يعرفها وبلاداً
يتلاشاها
يلتقي بالصحراواتِ ويكون ذا رمادٍ وصهاريجَ وله ما يشاءُ من الجواري
والقيانِ
يتوضأ من رُغاءِ المحارات ويبحث عن صَدَفهِ في الأعالي
فأين تكمن كواكبه؟
يباغت الشمسَ وهي نائمةٌ عند خليجِ الجسدِ وعريانةٌ
ويكشف عما له من ذريةٍ
وأقاليمَ..!!
حقـًا

ح
ق
ا

سيكتب ميلاد الجسد
ويؤرِّخ لزوارق الرغبة وانكسارِ الحروفِ على مرايا الجسدِ
ليقيم مملكتَهُ على الأرضِ
ويلوِّح للصيادين ويفضُّ معهم الشباك ولا يسألهم
عن البحرِ وألاعيبهِ
وما هم فيه من عَنَاءِ الصيدِ
إلى أن يرى اللؤلؤَ في صَدَفِ المحاراتِ وهو يدَّحرجُ على جلابيبه وتحت
سمعهِ وبصرهِ إذا قعد أو قام – وإذا نام أو استفاق –
ويتكوم في حفنتهِ كماءٍ هابطٍ
ثمة سمك أخضرُ عند القاعِ
يصطاد واحدةً
فواحدةً..
ويلقي بصناراته إلى الهواءِ

فيخرج له من وراءِ الأكمة ما يخرجُ عندئذٍ يطعمه إلى موقدِ الذاكرةِ
ويجلب ما يحمل من سمكٍ ميتٍ
إلى الأسواقِ
إذ ذاك...
سيتوقف عند جزيرةِ الجسدِ ويلقي بصناراتِهِ إلى الأبيضِ الأبيضِ
والبعيدِ البعيدِ
-آه.. الجسد الغامضُ الغامضُ -
وبخطاطيفه إلى الأزرقِ الأزرقِ
ويخوِّض في اللجةِ حتى يجعل الأعاليَ أسافلَ
والأسافلَ أعاليْ
إذن..
سيكتشف كم يكون القاعُ غويطًا والأرض ذات فجاج وأخاديد
وهو لمَّا يزل يحوِّم حول السطحِ وفي الأعماقِ حيتانٌ بأنيابٍ
وقروش تنتظر الضحايا
فقط..
محاولاتُهُ تبوء بالفشلِ
إذ ذاك...
تصرخ الروح كالدببة
وتتعارك الشهوة كالنيازكِ
والجسد بينهما
كالضحيةِ
هنا سوف يغمس إصبعه في دمهِ ويكتب على رقعة السماواتِ والأرضِ:
- الجسدُ قبةُ الروح
والروحُ معنى الجسد - ولا فرق
هذه بقيةُ العبارةِ:
سأدخل في غيمةِ الأرضِ
وأرتدي لباس السمكِ الأخضرِ وأقعد تحت سماءٍ بلا نكهةٍ
وأرتب أوراقيْ
ولا أرتكز إلا على ما تكنه الذاكرةُ ليْ

وما يجلبه المعنى من تخيلاتٍ
كيف أصف ما أرى؟
المرأةُ؟؟
آه
سيدةُ المعنى
وآخرُ الفتوحاتِ
وأول الكلام كيف أكشف عن سماءِ الجسدِ وطموحاتهِ؟
كيف أكشف عن أسماء الجسد وغرائبِهِ؟
كيف أصنع من خميرةِ الجسدِ كتاب السماوات والأرض
وفتوحات الخليقة
ونهاية ما يسمى بالكينونةِ والماهيةِ وهو الجوهر والعَرَضُ معـًا
وهو هو..
في نفس الوقت خرائبيْ وطلاسميْ؟
أتزيا بكلماتٍ ضحلةٍ
وأدخل جزيرةَ الجسدِ المتوج بالصباباتِ والمواجيدِ...
زهرة مدى
وزهرة ذراعْ
زهرة صدى
وزهرة وداعْ
هذه بقية العبارة:
سأبتكر للجسدِ لغةً تليق بالكلامِ
وأخرج من بؤبؤِ الضوءِ إلى عتمةِ اليقظةِ ومساربِ الأزمنةِ ووحل
الجنازاتِ
... استسلمت للنوم إذن
وبقيت حتى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل
– وعلى فراشي طلبت من تحبهُ نفسي فما وجدته –
وأنا أدعك جدران الزمنِ بالفراغِ
وأدشن الخرابَ بالانكساراتِ
وأسير وفق هواءِ الرغبةِ ولا أنيس ليْ

وأتوقف أمام امرأةٍ ما
فأنكسر مثل ياقوتةٍ
وأختصر ما يسمى بالزمنِ ذي الأبعادِ
وأختفي عند زاويةٍ ما
فأشم هواءَ اللزوجةِ وأتوقف تحت شمس المتاهات
وأدَّحرج كالبالونةِ
دحرجةً خفيةً وأتخطى حواجز الأشكال والألوان
ولا شأن ليْ
(4) – يطوِّف بالأعالي
ويشهد صهد المجراتِ
ويكتب بخطاطيفه ما يسمع من كلامٍ وأغنياتٍ ويحرث الأرض
بالمحاريثِ التي يعرفها ولا يعرفها
أرضُ المرأة نيئةٌ...
فهل تصلح لإقاماتِهِ المنفردةِ وهجراتهِ الدائمةِ؟
ثمة ميلادٌ آخر وقيامةٌ أخرى ولا يعرفها
وشمس تهب من الأقاصيْ
وعند قبَّةِ الجسدِ سيكشف عن آثامه وأسمائه وما له من آثارٍ ومسمياتٍ
ويهب اللحظة ما له من ذرياتٍ
وانخطافاتٍ
وسيوقف الزمن عند هاويةٍ ما وينتشله من الغرقِ
ويومئ لمراكبهِ
أن تطوف فوق البحيراتِ الضحلة والشطوطِ الخربةِ
ولا يتوقف إلا عند حدودِ الجسدِ
وما بين سماء المرأة وسرتها يخبئ كواكبَهُ
آه..
عندما سيهربُ
سيكتشف أن ما جمعه من صَدَفِ الجسد قليلٌ وبلا فائدةٍ
هناك..
سأقيم علاقةً خاصةً بين اللغةِ والمجازِ

وسأغترف من سماواتِ الجسدِ ومواويله ما تنوء بحمله الذاكرة وما لا
يقدر على احتماله
جسدٌ آخر
وأكشف عن فصولِ الليلِ وأقاليمِ النهارِ
وأرتد بعيداً
إلى حيث تغيب الذاكرةُ عن سماءٍ مألوفة ليْ
واكشف عن أرضٍ مراوغةٍ وسماءٍ
بلا نكهةٍ...
وسألتف على نفسي إذن
وأمسك بكرةِ الهواءِ وأدثّر بكلماتيْ
وأتعلق في قصبةِ الروحِ الفارغةِ وأفك مغاليق الجسدِ
ولا أبوح باسمها لأحدٍ
وأنتشر في الأرض كالخرابِ ولا حدَّ ليْ
وأقرأ على عتباتِ الذاكرةِ ما تيسر من آيةِ الجسدِ..

2- هكذا والذي لا اسم له

هكذا
أتجول بين مراثي الذاكرةِ وغياباتِ الاسم
أتمدد عشبةً طريةً على جسم الأرض
وأحتسي ذؤابات المرجانِ وأنام هكذا عارياً بين ثبوت الكاف
وانحناء دائرةِ النونِ
وألائم أبجديةَ الكلمات وشهوةَ الأرض
وبقايا ما في الذاكرة من خدعٍ ومرايا
ألائم الجسدَ اللامرئيَّ بالجسدِ اللامرئيِّ
والجسد المرئي بالجسد المرئي
واللاجسدَ باللاجسدِ
وأغلق عيني عن الدهاليز وأنتهي إلى المكان ذي المغاليقِ
كيف أنفذ إلى النهار ولمَّا ينفذ الليل من فتوق السماوات أو

يستوي عرشهُ على الماءِ
والمسافة بيني وبين السيدةِ كمشكاةٍ أوقدها بالليلِ لأحتفظ
بها في النهارِ
وأوقدها بالنهار لأحتفظ بها إلى الليل
هذه هي حال السيدة دائمـًا...
وهذا هو حال السيدِ أبداً...
يتكوم على الورق الأبيضِ ويوشوش الحروفَ فتتكور الكلماتُ أمامه
– كتكور الليل على النهار
وتكور النهار على الليل –
ولا يسأل الحروف من أي سماءٍ أقبلت وكيف اتخذت هيئتها من
أول يومٍ
ومشت في هيئةً قرصانٍ
كيف أُلبس الزمن عباءة الحروف إذن
وأدوِّن على تضاريسه حكايات النهار وزمراً من أضاليل الليل؟
كيف أكتب عن فضاء امرأةٍ ما تخرج من غيابات الحرف إلى
متاهات الأسماء
والمسميات؟
(... إذن لا طاقة لي...)
كيف تتخذ المرأة ذاكرةً ما لتنحصر في طبقاتها
حسبما يتيح لها الاسم من أوصافٍ
ويتسع الوقت للأسماء والمسميات؟
هي – المرأةُ – إذن هيولي الفضاءات بما لها من جواهر وأعراضٍ
هي – المرأةُ – الحركةُ والسكونُ وجواهرُ الأوقاتِ
وليس ثمة شيء
كيف أكتب على قميص يوسفَ أن النسوة اشتهينه وقطَّعن أيديهن
وهو واقف يغلِّق الأبوابَ
ويتهجى أبجدية الغياب والحضور
على عباءة السماء والأرض
ويزركش المكان بالدمِ والفجيعةِ

حتى ابيضت عيناه من الحزن
(.. واسفا على يوسف..)
أحيانـًا..
يكلم الريح
ويعتصر اللغةَ عند بوابة المعنى حتى يتبين الخيطُ الأبيضُ من
الخيطِ الأسودِ ويقف عاجزاً
أمام جسم امرأةٍ ما
هو يعرفها آناء الليل وأطراف النهار
وهي هي تعرفه في الأوقات
إذن...
هو يعرفها بسيماها
وبما لها من تخيلاتٍ
وشهوةٍ
وهي تعرفه بما له عند كل ريحٍ من هبةٍ
وعند كل سماءٍ من شروقاتٍ وأقانيم
وسيوقد بخورَ المودةِ
ويترك ما يعرف من اللغة على شفا جرفٍ هارٍ
وسيوضِّئ الشمس تحت قدميْ امرأةٍ
ويشبك قطيفته الأولى
في سراويل الريح
ويخلع على الأرض ما ينوء بحمله من أثقالٍ ويتوكأُ على خرابات
الإثم ويهش على أوجاعه وتلاوينه بما يحفظ من أدعيةٍ وتباريحَ
ويقيم ولائمه في الفضاء وهو جدُّ جائعٍ إلى الجسدِ وأهازيجِهِ
ويصلي – له – صلاةً دائمةً
ويقف على حصي الشهوةِ
هل يحدق في الماء؟
ثمة صورتُهُ...
وهي ترتعش كقصبةٍ في الريح وتذبذب القشة تحت مراوح
الغيابات

وملاءاته الرخوة يتركها لليلِ
ويواصل في النهار سعيه وصلواته إلى أن يصل إلى حديقة الجسد
وأغانيه
أيها الجسدُ:
يا قرينَ البداياتِ و يا صبغة الرب
كيف أتجمل لك
مثلما تتجمل لي؟
كيف أمتثل لكمالاتك مثلما أتمثل بك في كل وادٍ؟
كيف أمتلئ بكمالاتك
ومثلما أمتلئ بك تمتلئ بي؟
كيف أقف منك موقف الخشوع ولا تقدم لي سوى الإثم على
موائد اللذاذات
مرجانُ الرغوة أنت
وياقوتةُ السماواتِ
وعشبةُ الأرضِ...
تقدم إليَّ يا سكرانُ..
يا سكران تقدم..
تقدم كالوحوش وانظر لخرابي انظر:
أنا المنهزمُ أمامك ولا شكَّة لدى أخوض بها غمار طرقك وأفك
مغاليقك بنفسي
وأترجم لك فتترجم لي
أنا الصامت الصامت وأنت الناطق الصامت ولا ذنب لي
أنا اللغةُ
وأنت إمام الحروف
ومنجم المعاني والتلاوين
أيها الجسدُ:
يا قرينَ البداياتِ و يا صبغَة الربِّ
سماواتك أيها الجسد آخذةٌ في الاضطراب وخطوي آخذ في التلاشي
(اسمع نداءات الروح

وأرجوزة الزمن
واغرق في المجرات...)
أدعية بلا نهايةٍ
وكلام بلا تلاوينٍ
فماذا تكون البداية إذن؟
أدحرج الريح على حنجرة الزمن
وأنتظر عناقيد الشمس ولا شيء يذهب أو يجيء
... باطلُ الأباطيل...
ثمة أسئلة تحرقني
أموِّه على القوم بأسِنَّةِ الكلام – وخضراء الدِّمن –
وأرتعد من الهيولى
حينما أفكر في الموت
كيف أحتمي من العدمِ بالمرأةِ
وأحتمي من المرأةِ بالعدمِ؟
ألبس قفطان الليل والنهار
وأخرج شاهراً سيف الدعة على أرائك اللذة
وهي المرأةُ – تلوح ليْ – بين النومِ واليقظةِ
فكيف أخرجها من الصَّلصال إلى النطفةِ ومن الواقعِ إلى
المثالِ كيف...
كيف؟
لستُ إلهـًا أيتها المرأة
فأُخرجك من الظلمات إلى النورِ
ولا أخفيك بين جنبيَّ
فأخلقك خلقـًا آخر
يا يوسفُ
اخلع نعليك إذن واستسلم لغوايةِ السيدةِ
وليندغم الأزلُ في الأبدِ
والأبد في الأزلِ...
و غنِّ سماء الدهشةِ ويقظةَ المعنى عند كل جسدٍ وفي كل جسدٍ غنِّ

انسلاخَ النهارِ عن الليلِ
وانسلاخَ الليل عن النهار
واقبض بيديك على المعنى
ستعود إذن يا يوسف ملتاثـًا...
أيها الجسد:
يا قرين البدايات و يا صبغة الرب
كيف أعرفك بكلامٍ لا يخرج من بين اللهاة ولا يرتقي صَدَفَ اللسان
فأصنع زبيبك بنفسي
وأهب لك من قصديرِ الجنسِ وذهب الرغبةِ ما تنوء بحمله وكشفهِ
إلى أن تخلع – عنك – فضاءات الروح
وترتقي درج الأبدِ والأزلِ
وعندما ينعدم الزمنُ تقف الذاكرة خائخةً عند حافة السماء
الأولى
أيها الجسدُ:
أعطني كلامـًا آخر كالكوثرِ
أخرج عليّ من حدقة العين ومن بؤبؤ الروح
واجمع الأشلاء من فوَّهاتي
ولتتحد بموتٍ لي
أعطني أيها الجسدُ كلامـًا كالنبيذِ لأشربه في كل زمانٍ
وفي كل آنٍ
أتشح بك عند كل شمسٍ
وأمام كل قمرٍ أقول كلماتي
أكتبُ على لآلئك ما أود قوله وعلى تضاريسك أخبار الفصول وزمن
القيامات
وآخذك في كل ليلةٍ لجحيمي
أصنع منك فخارةً وأملؤها بك
وبكلام الرب أقول الذي فيك وأزينك لعيني
وبك ما بك من الترهاتِ والأوهامِ
أصنع منك فخارة

وأضعها أمام الربِّ
وأملؤها بالأكاذيب والتصديقاتِ
هل من شجرةٍ تنبت في عمقِ الروحِ فأقطف أوراقَها بيديَّ
وأضع بين كل زهرةٍ من زهورك
مراياي
ووقتي..؟
بك أنتشي
وبك أعطيك من كلام الليل ووهج النهار
أيها الجسدُ:
ألمسك فتنجرح يدي
ويقولون:
تَلَّهُ الجسد..
سأقف أمام أسوارك وغرائبك وأنا مدجَّج بغرائبي وسُنني
وعلى تخوم أعدائك سأدور كالفراش
وأنا بين سِنة النوم
واليقظة..
نعم
نعم
سأكون في كامل هيئتي وشكَّتي
منتظراً ساعة نومك
كي أنغرز كالنصل بين حصونك وسأدعوك باسمي
يا بهيُّ
و يا صبغةَ الرب
و يا قارورة الروح
أرى دمي منتصباً بين الأنقاض
فأجره ورائي
صانعـًا
شمسـًا وقمراً من الأخاديدِ و...
أواصل الصعودَ والهبوطَ ولا أنجرحُ

أتوقف عند الزوايا والتعرجات ولا أقعد فيغلبني النعاسُ
وانتشل غرقاي
أنحدر مع السيل في الليل نحوك – كالزبد –
وألوِّح للربابنة وصيادي الأسماكِ والقراصنةِ
هؤلاء همو أهلي وعشيرتيْ
وأهتف:
اقبضوا على الجسدِ بالشباكِ
امسكوه جيداً بالصنانيرِ
تلك صنارة الروحُ تصعد والشباك خاويةٌ
هذه هي إذن
فوضى الجسد
يا أصدقائي
يا ضيقي القلب و يا ثقيلي الأحمال و يا متعبي الروح
يا من هم بجلابيب من طلحٍ
اقبضوا على الجسد بالشباك والصنانير
امكثوا على سفينة الموتى
ها نحن أوْلاءِ نشرف على الغرقِ
لا تدعوا الشباك تعتصر الأيدي
ولا تفلتوا سمك الجسد وانتصبوا ساعة المنازلة
واثبتوا فتلك شجرةُ الجسدِ
قد بانت
هلموا
هلموا
يا دهاقنة السياسة
و يا أرباب الحرف
والصناعات
يا محترفي الأكاذيب و يا مزيفي النقود هلموا.. هلموا
هذه سفينة الجسد تبحر بليلٍ تحت ريحٍ خشنةٍ وموانئَ أخرى
تلوحُ في الأفقِ

وها هم صيادو اللآلئ ينتظرون في موانئ قريبةٍ أو...
يلوحون بالليل والنهار لسفينة الجسد أن تتوقف
هذه سفينةُ الجسدِ آتيةٌ
انظروا:
فوق السفينة سقالات بعرض السماواتِ والأرضِ وأبنيةٌ ما بها من
تصدعاتٍ
أرغفةُ الجسدِ حلوةٌ وثمرته ناضجةٌ
وعلى الجوعى أن يوقدوا الشموع ويشعلوا التنانير ليخبزوا
الجسد كالرقائقِ
حمرةٌ قانية تنزل من سماء الجسدِ وتعتصر الفمَ كالحليبِ
وتنفطر كأجود الخمر
هل إناءُ الجسدِ فارغٌ؟
إذن
اهدأوا قليلاً.. قليلاً
أيها الجسدُ يا قرين البدايات
و يا صبغةَ الربِّ
إلى أين تعبر؟
وها نحن ننتظر ساعةَ الروح ونلتقي المواعيد والإشارات ولا
نكترث بالبداياتِ والنهاياتِ
فقط
نتربص بك في كل وادٍ تقيم فيه
وكل سماء تنقشع عنك بك
اتبعوني أيها المزيفون للروح والجسد معًا..
أيها العبيدُ:
يا من..
تكترثون بالليل والنهار لأي شيء ولكل شيءٍ
يا من أفواهكم مفتوحة كالخراتيت
وبطونكم منفوخة – كالحوانيت
وعلى أعينكم ترين غشاوة النعاس

وخبث الحديد...

أيها الجسد:

[يا بهي يا سمي يا عليُّ يا وقتيُّ يا إنيُّ يا آنيُّ يا أزليُّ يا أبديُّ
يا زكيُّ يا شجيُّ يا غنيُّ يا قويُّ يا رضيُّ يا جليُّ يا خفيُّ
يا شهيُّ يا شمسيُّ يا قمريُّ يا صخريُّ يا رمليُّ يا جبليُّ
يا سهليُّ يا مرئيُّ يُّا مخفيُّ يا أرضيُّ يا فوقيُّ يا تحتيُّ يا ناريُّ
يا مائيُّ يا بدئيُّ يا أخريُّ يا نجيُّ يا ليُّليُّ يا صمغيُّ
يا شمعيُّ يا بصريُّ يا شرقيُّ يا غربيُّ...]

هل أشهدتهم عليك؟

إلى أين تهرب أيها السيدُ؟

وعند أي سماءٍ تقعد وفي أي كوكبٍ تقيم وتنشر لأولئك كالمصابيح والمغاوي

وعلى أي شاطئ ستوقف السفن وتشعل النيران

يا شرقيُّ يا غربيُّ..!!

سأنتصب مثل قارةٍ في وجه الريح

وآخذ كل سفينةٍ غصباً وأكون كالقراصنةِ فأين منافذُ الهربِ؟

سأسرق زوارقك

وأحطم المجاديف

وألقي بالبحارةِ وأسماكِ القرشِ والحيتانِ إلى الأعماقِ

وأنتصب – في وجهك – شاهراً سيفي وهو مطرزٌ بدمك الأبيضِ الأبيضِ

الأحمرِ الأحمرِ الأزرقِ الأزرقِ الأسودِ الأسودِ...

وألقي عليك بالفتيانِ والحجارةِ

سأجعل عليك الليل سرمداً والنهار أبداً

سآتيك بأتباعي من الغرقى

وبأتباعك من العبيد والجوعى إلى أن يحجبوك عندهم

آهٍ

وسيعتصرونك كالحليب

ويسكرون بك كأجود الخمر يا عصيرَ التفاحِ والأعنابِ

و يا شجرَ الأقاحِ

يا شرابَ الآلهةِ والنبيينَ
أعطني أيها الجسد كلامًا آخر حتى أقدر على الكلامِ واستسلم
لمقاود الحروفِ
ومقابضِ الألفاظِ
أعطني أيها الجسد لغةً أخرى
حتى أرى اللغةَ جهرةً لا من وراء حجابٍ فتفتح المغاليق لي
أيها الجسدُ:
سد الفُرَجَ والقنوط ما بين كل لفظةٍ ولفظةٍ
ثم اعطني ماءً لأشرب ولأصدَّقَ عليك بك فأقبض على معانيك بيدي
ولا أبحث لك عن تأويل آخر
ولا لغة تقوم مقامك هذا
ولا كلام هو منك وبك إلا سهَّلْته لي
وقضيت – لي – ما أنا فيه من عوزٍ
وغواياتٍ...
إذن
أيها الناسُ:
سننزل إلى جزيرةِ الجسدِ ونكون كالمجذومينَ
ونتخلى عن كل لغةٍ نعرفها ولا نعرفها إلى أن نقترب من زمردات
الجسدِ
ولآلئه..
المتراصةِ في الهوائيات كالأنابيب الماصَّةِ بحلوقٍ مشققةٍ
وجسومٍ ذوات قروحٍ وندوباتٍ
سنرتكب حماقةَ الانتظارِ إلى أن يطلع علينا السيدُ الجسدُ
بغتةً..
ويلقي بالتحايا والمواعيد ونحن يومئذٍ في شغلٍ عنه به
يموج بعضُنا – يومئذٍ – في بعضٍ فلا نعرف أي شيء عن حقيقة ما نحن
فيه
ونذهلُ عما لا نحن فيه
وكل منا – يومئذٍ – ممسكٌ بقارورةِ الروحِ

يصفِّر صفيره الخاصَّ
ويغني أغنياته الخاصة بلسانٍ خاصٍ هو هو لسانُ الجسدِ
ولغةٍ خاصةٍ هي هي لغةُ الجسدِ
إلى أن تشرقَ الشمسُ علينا – بغتةً – ونحن في شغلٍ عنها به فَكِهونَ فلا
نعرف إن كانت – هي هي – الشمسُ ذات البياضِ
أم هو هو الجسد نفسه ذات البهاء والتخيلاتِ وبه من الكمالات ما نعلم
وفوق ما نعلمُ..
فقط هي الروحُ – كيمياءُ الجسدِ
والجسدُ
كيمياء الروح – ولا فرق
ويطلع القمر فلا نعرف من أي جهةٍ صعد إلى الأعالي
ولماذا أضاء ما أضاء
من الجهات
بللوا شَعْرَ القمر بالماء
وامسحوا – وجهه – بالأغانيْ
افتحوا إليه السراديب وانزعوا الرتاجات من على البوابات
دلّكوا جسمه بالزبيبِ
وفكوا..
عنه الوَثَاقَ
لفوه بالدرجِ الأخضرِ والزمرداتِ
واغسلوا نتواءاته بالأدعيةِ والتبريكاتِ
وهو هو بين هالةِ البهاءِ وبهاء الهالة يجمِّع النجوم واحدةً
فواحدةً إلى أن يتحلقن حوله
كشعر امرأةٍ من العاجِ والنرجسِ والآسِ والزبيبِ
فتسكن عندئذٍ كل حركةٍ
وتهدأ كل نأمةٍ
إذ ذاك تقول المرأةُ
أنا بهاءُ الجسد واكتمالاتُ الدائرةِ
أنا المواقيتُ وهؤلاء همو أتباعي ومواثيقيَ

إلى أن تصير الأرضُ وردةً – كالدهانِ –
وتصير السماءُ طريقـًا مفروشـًا بالآس والحناء
ويرتشف الرجلُ جسم المرأةِ كما يلتهم الثمرةَ الذكيةَ وحبَّ التفاحِ إلى أن
يصير الليلُ كالنهارِ والبياضُ كالسوادِ هنا
هنا ينتفض الجوعى..!!
«أيتها الساكنة في الجنات الأصحاب يسمعون صوتكِ فاسمعيني
كيف نصعد إليكِ وننزل ونحن في مهمة ضيقٍ حرجٍ
اضرب أيها الجسد بأراغيلكَ على أوتار الروح
وانبثقي أيتها الروحُ من قرنية الجسدِ وشبكية الانفجارات والتعاشقِ
سأسلك سبيلاً آخر أيها الجسدُ نحوك
وأتخطى المراراتِ والحزازاتِ ومحدوديةَ المكان واسطوانيةَ الزمنِ لأدخل
في ميتافيزيقا الهيولى
وأفتش عن الجوهر والعَرَضِ فيك ولأشرب من خمرةِ الماوراء...
هناك...
حيث تنعدم التفاصيل ولا يكون للأشياءِ اسمٌ ولا مسمى
فقط – هو – هو – كل شيء وهي هي كل شيء
سأجد بوذا يحتسي خمرةَ المسيحِ
ونيتشه يسكر على مائدة يهوه
ومحمدُ يتوسط الدائرةَ ويقعد تحت ألويةِ الروحِ
ويلقي بالبشاراتِ والتعاليمِ
ويشرب من عينِ الكوثرِ
هناك سأقابل بلقيسَ وسليمانَ وامرأةَ لوطٍ وسأتعرف إلى زليخة
امرأةَ العزيزِ
وأسأل عن الهدهدِ في صحراءِ سبأٍ وأتحسس ريحَ يوسفَ
هناك...
سأقابل عروةَ بن الوردِ وامرؤ القيس
وأرتكب حماقات بودلير وأمشي وراء قوافلِ رامبو في صحراء عدنٍ إلى ما لا نهايةٍ
وسأضحك من فاوستْ
وأهبط الجحيم مع دانتيْ

سأكلم زرادشتْ
وأقابل الشيطانَ – في منتصف الوقتِ – وهو واقفٌ يراود الجحيمَ
والجنةَ وأقايض الهواءَ واللامرئياتِ
وأتتبع المعرى في لزومِ ما يلزمُ وما لا يلزمُ
وأتوقف أمام قبر محيي الدين بن عربي في الصالحية قرب جبل قاسيون
وأوقد مشكاةَ الغزاليِّ
وأتوقف أمام بيمارستان الفارابي وصنَّاجاتهِ
وأكشف ما لآلةِ القانونِ من طاقةٍ وما في الموسيقا من معنى ومناراتٍ
سأكتب إشاراتِ بن سينا وأفكُّ طواسينَ الحلاجِ وطلَّسماتهِ
وأحفظ كلمات النفريِّ عن ظهر قلبٍ وأكشف عن كراساتِهِ وأوراقه أمام
الجماهير
وأحرق مخطوطاتِ التوحيديِّ تحت أرجلِ العامةِ وهمو يضحكون
ويرقصون
هناك..
سأحرثُ الهواءَ بالمحاريث وأصنع من ألاعيبهِ أصابعَ الفضاء
وأمسك الشمس بيمينيْ
والقمر بيساري
وأخلع عليَّ من سراويلِ الريحِ وأحجياتِ الزمنِ ما أشاءُ وما لا أشاءُ من
معنى وفضاءاتٍ
وأسأل عن ماهيةِ الوجودِ والعدمِ
وأتبلبط على رمل الشاطئ مهجوراً
وأشير للزمن أن ينعدم وللسماء اللازوردية أن تنكفئ على الأرض في
عناقٍ وتهيؤاتٍ
وأحلُّ في صِبَّرةِ حنطةٍ
هل ثمة أين..
ومتى
وكيف؟؟
وبأي شيء
وإلى متى

ومن أين
وإلى أين؟
نعم
نعم..!!
سأقود قوافلَ الريح على رملِ الشاطئ وأكون صديقًا للأغرابِ
سنكسر معًا حَدَّة الريح وصَدَفَةَ الموجِ وخرائبَ اليأسِ
ونقلِّب الأرض بالمحاريثِ ذات اليمين وذات الشمال ونهشم ما يسمى
بالزمنِ ونصنع من فخَّاراته محاراتٍ لرغباتنا المكسورةِ
وأرغفةً لأغنياتنا
الجريحةِ...
سنقلِّب الروح بين أيدينا كالسراطين ونلعب على أرضٍ منبسطةٍ
وتحت سماءٍ رحبةٍ وزاهيةٍ ننشر شباكنا هناك
وتحت ليلٍ بنجومٍ لاتعد وأقمارٍ لا تحصي سنخرج عن
إلفِ العادةِ
إلى الفوضى
ومن النظامِ إلى الفضاءاتِ ونحقق المعجزةَ مرةً و.. إلى الأبد
– تلك – هس معجزةُ الحريةِ
والروحِ معًا..
سنتخلص من تفاهتنا المدهشةِ وحزننا الغامضِ المدهشِ
سنمارس رغباتنا الصغيرة المدهشةَ بنوعٍ من الألمِ المدهشِ
وسنصنع من كلماتنا البسيطةِ المجوفةِ
كالشعيرات البسيطةِ المجوفةِ
أغنياتنا البسيطةَ المجوفةَ
أيضًا
أيها الجسدُ:
يا كليُّ
يا جزئيُّ
أين ألتقي بك وما هي مراسيك؟ قل ليْ
الكلمات كلها لك

الأقمار كلها لك
والليالي كلها لك
كيف أصعد إليك وأنزل وأنت بعيدٌ كالسماوات ودقيقٌ
الخرادلِ؟؟
هل أنت لغةُ الأرضِ وكلام الهواءِ ولؤلؤ المحاراتِ وعاصفةُ
الوقتِ؟؟
أنا مقيدٌ بالحبالِ فشدني إليك
كن رفيقًا بي
لئلا أنكسر
أخرجني من قواقعك المظلمةِ إلى إشراقاتك البهية
هل هي ممتلئةٌ بك إلى هذا الحد وأنت ممتلئ بها إلى حدّ الجنونِ؟
فعلام إذن تفترقان وتبتعدان؟
لماذا تشهر الأسئلةَ – في داخلي – وتلقي بي إلى الهشَاشَاتِ أنا ومَنْ
ورائي..
أيها الملفوفُ في خادرةِ الروحِ كالخطيئةِ؟؟
أيتها الروحُ الملفوفةُ في سنديانة الجسدِ
على جذوعك تقوم النبوءاتُ وترتكب الحماقاتُ وباسمك تشتعل الحروبُ
وعلى فروعِ الجسدِ تتفرق الدياناتُ ويختلف الأنبياءُ
ويدعو كل منهمْ إلى شرعةٍ وأعاجيبَ
أية ألغازٍ تحلمها في جلابيبك أيها الجسدُ؟
تقدم إليَّ سكرانُ يا سكرانُ
سأفتح في دروبك الطريقَ إلى الهاويةِ
وأفتح الهاويةَ إليك
أنتَ
سأنكسر مثل زيتونةٍ أمام خطاياك
وأنحني عليك بالليلِ والنهارِ لأقطف من ثمارك وعطاياك ما أشاء
وما لا أدرك
وسأقود الريح إليك في خطى شرسةٍ وأنت واقفٌ ليَ بالمرصادِ
أية ألقابٍ أخلعها عليك وبك من الكنوزِ والفتوحاتِ ما لا يعدُّ

وأمام غرائبك تهمهم الأفاعي كالمردةِ وتنطلق الشياطين
وتخرج اللامرئيات من مكامنها وهي تطق شرراً وحتفـًا ولا أبالي؟ ثمة
أوديةٌ ولججٌ ومناراتٌ كثيرةٌ أقطعها إليك وأنا أنهب الأوديةَ وأخوضِّ في
اللججِ
وأتوه في المفازات إلى أنَ تسَّاقط عليّ كاللآلئ
وتدَّحرج على جلابيبي كالمحاراتِ...
أشم من ورائك رائحةَ الفجيعة وتلهب شمس الأقاصي رأسيْ
آه.. تعبت من السيرِ وارتباكِ الحالِ وخرجت أتلصص عليك
كالفريسةِ وأشم رائحتك كالثعالبِ
[... أذكر ...
كان الوقت ربيعـًا
وكانت السماءُ زرقاء
والشمس والقمر يسيران في خطوطٍ منعرجةٍ ومتوازيةٍ
وهما يتلاعبان بالليل والنهار
كما تتلاعب السمكاتُ بالشصِّ
وكان أن رأيت دخانـًا كثيراً وظلمةً..
وانفتحت السماوات عن أولها وآخرها وأخرجت الأرضُ ما بها من
يعاسيب
أذكر..
كان...]
هو العدمُ إذن
والهيولي تنتشر كالسراطين
وسمعت صوتـًا عظيمـًا
فإذا بامرأةٍ من لؤلؤٍ ويواقيتَ بطنها كالعساجدِ وصدرها كاللجينِ المسبوكِ
والحليب
تأتي مترجلةً وعليها عصابةٌ من الحلي وتاج من الزمردات واليواقيت
فقلت:
من أنتِ أيتها السيدةُ؟
أما من نسلٍ لكِ على الأرضِ؟؟

سنكسر معـًا توافقات الليل والنهار
وندور كالنُّطفِ إلى أن يرى كل منا الآخر ويلائمه
سألتف عليكِ كاليرقاتِ
وتلتفين عليَّ كالشرانقِ...
وسنغسل الأرضَ برغاء الشمسِ وخبزِ المحاراتِ
ونضطجع وحيدين في العراءِ
ولا نكلم الناس ثلاثَ ليالٍ إلا رمزاً
هذه هي هجرتُه الأولى إليك
صهٍ..
صهٍ..
كان الجسدُ يتكلم فوق ما تقدر اللغة وتحتويه الكلمات من
حروفٍ ومعنى
كان يكتب كلماته على البحرِ ويهمس بها إلى الريحِ
ويغني أغنياته
ويستحم عريانـًا في زبرجدِ الأبدِ
ويمسك بالقضبانِ ذات الرياحين والمزاميرِ
وكان يقرأ المزامير وهو واقف على حافة الأرضِ ويراقب الشمس وهي
تخلع عنها
أرديةَ النهارِ وتدخل إلى كهفِ الليلِ ومواخيره
وكان يمسك بخطاطيفه يمام الجسدِ ويصنع من الرغبةِ زوارقَ بيضاءَ
لأماسيه وصباحاته
وأنا أتلصص عليه من فرج الوقت والقنوط
وأحمل عجيزةَ الزمن على كتفيّ وأرحل – وراءه – من بلدٍ إلى
بلدٍ وأتحمل في سبيله المشاقَّ والرغائب
وأهيئ نفسي لاكتمال الدورات
قلت: أصعد إليها ورحت أغذُّ الخطي
كانت السماوات تتفتق حولي كالسراويل وتنخلع عن الأرض
كالبرانس
فنمت ألف عامٍ

وكان هناك جدارٌ يريد أن ينقضَّ
وأخذت أحفرُ إلى أن اتسعت الدائرةُ وصارت كالهاويةِ
قلت: أنزل
وبقيت هناك في الهاوية ألف عامٍ
وأخذت في الدمع والغناء إلى أن امتلأت الأرضُ بالبكاءِ والفرحِ
وصارت مثل بحر لجي موجه طامٍ وظلماته بعضها فوق بعضٍ
فارتفعت الأمواجُ للحافة إلى أن أشرقت الشمسُ بنورِ المرأةِ
كان ثمة أوحالٌ وغيمات كثيرة منتشرة...
وكان هذا اسمها
قلت: إذن لا حول لي
غير أن طائراً أتى إليّ وكلمني وقال لي:
– أبدأ نشيدك أيها الجسدُ –
واقتربْ من هوةِ الروحِ
ولتشتعل بالنشوةِ وغبار المسافات ووحل الأزمنة ولا تمكث إلا في
قاعِ الجسدِ غريقًا
واترك لعصافيرك أن تنام وهي تقطع الأفقَ غير هيَّابةٍ من الموت
ابدأ نشيدك أيها الصقريُّ يا جنازة الأرض و يا مآتم الفرحِ والغياباتِ
هذه هي شهادة الحواسِّ الخمسِ ألقيها عليك فاحفظها لئلا
تخرج عن الطاولةِ
كان محيي الدين بن عربي يغسل نافورةَ الجسدِ بترابِ الرغبةِ
ويملأ جرَّته من زبدِ الشمسِ كل صباحٍ وفي القيلولةِ يبدأ مدوناته
وفتوحاتِهِ
وكان يفرش الجسدَ على امتدادِ السمعِ والبصرِ والفؤادِ ويمضي به
وحيداً إلى الهاوية
فيرصف له الكلمات حيث يشاءُ ويشم هواء الأنوثةِ الحيِّ من خلال
طواحينِهِ ويختار ما يلائم اندفاعاتِهِ ويوافق فتوحاته وهيولاهُ
ويصنع خريطة العالم بسبابته ثم يحبسها في قفصِ الجسدِ
وشجرةِ المعرفةِ
ويدق مسامير الرغبةِ في شرانقِ الريحِ

ويؤجِّج النهار على مرايا الليل ونواقيسه وفي آخر الليل
كان يبحث له عن سميع وهو لمَّا يزلْ يبدأ في تخطيطاتِهِ
هل كان يقرأُ العالَمَ أم أن العالمَ يقرؤهْ؟
كان يعبر العالم بغير قفازاتٍ ولا أجنحةٍ ويمشي على الماءِ
ويعِّرش على الليلِ بأطرافهِ ويصنع من النهارِ شراباً مختلفاً ألوانه
وذا أقاويل
ويأخذ من الليل سجادةً لصلاتِهِ
ويكتب أوراقه بدمهِ
[لها نكهةُ الحروفِ
وله نكهة الكلماتِ..]
يتسرب كالحليب الصيفيِّ ويجري بارداً وحاراً في العروقِ
أيها السيد:
ماذا تفعل بعصارةِ اللغة وهي ليست كالأوراقِ ملكاً لك؟
اللغةُ مدهونةٌ بالمجازِ
ومزدانةٌ بالأضاليلِ..
أعرف أنك تواجه محنةَ الانكسارِ بالكلماتِ والحروفِ
هكذا...
هكذا...
كان محيي الدين بن عربي
يبتكر لغةً تليق باللغة و يوضِّئ الكلامَ على شفا الكلامَ
ويقدم قربانه لهوائياتِهِ
ويتربص بالجسدِ في كل آنٍ
ويخطف من الأثير فوق ما تقدرُ اللغة أن تقولَ
وكان يغنى دائماً:
– آهٍ
لهذه الوردة آهٍ
لهذا الوقتِ
أي معنىٍ لهذه الوردةِ
أي معنى لهذا الوقتِ؟ –

سأنتصب في الفضاء كهاويةٍ وألقي بشلّالاتي إلى كل قبرةٍ...
وسأخطف من الضوءِ أغنياته وأذهب إلى خراسان كي أقابل الغزالي
وسأضع كراريسي عند قدميْ بن رشدٍ إذن...
هل يستطيع ابن رشدٍ أن يجد حلاً لهذا المعضلةِ:
– لماذا خَلَقَ اللهُ الجسدَ
وفى أي مكانٍ تكمن قارورة الروحِ؟؟
لماذا صنع الله الجسد وأنبت فيه الروحَ كالدودةِ؟
وكيف كانت الروحُ قبل تكور الجسدِ؟
وكيف كان شكلُ الجسد قبل استدارةِ تلك الروح؟
ألهذه الأشياء معنى؟؟ –
إذن سأحاصر ابن رشدٍ وهو يمشي في الأسواقِ
وسأخترق أسوارَ قرطبةٍ وأقيم عليه المتاريسَ آهِ ها
هو ذا يخرج الآن من بيته ويبحث عن فمٍ يعرف لغة الكلامِ وجسدٍ
يتحدث إلى الجسدِ
يترك لنقطةِ الحبر أن تجفَّ على خشبِ الطاولةِ وفوق الأوراق تخيم
الوطاويطُ
ويلقي بأقلامه البوصِ إلى العراءِ
ويترك لوجعه أن يكبرَ
ولرأسه أن يتفحم من الأسئلة وهو يبحث عن الإجابات
هكذا كأن يقولُ:
– تحولت إلى مدادٍ
نفدت كلماتي وما نفد الكلامُ..
صارت الكتابةُ مرضًا ليليًا وبضاعةً مزجاةً
أي زمانٍ هذا؟؟ –
هكذا تحول محمد بن الوليد إلى درَّاعاتٍ وأبنيةٍ
وها هو ذا يدخل قفصَ التاريخِ كذكرى
فيرى المغولَ يعبرون الفرات
وقوَّاد الزنج يتأرجحون على المشانقِ وتنقشع السماءُ كهاويةٍ
أليست هذه هي الحضارةُ؟

أليست هذه هي الدياناتُ؟
أي معنى لهذا الجسدِ؟
أي حضارةٍ لتلك الروحْ؟
أي كلامٍ له ليقوله أو ليموِّه به عليَّ ليثبت للتاريخِ أن الروحَ أفعى
والجسدَ بحد ذاته شيطانٌ؟
لماذا نتوج الذاكرةَ ببخار الدم
ونرتشف السلام بالمناجلِ والغدَّاراتِ..؟؟
كيف أثبت أن العالم مملوءٌ بالتفاهة
وأني مسجونٌ إلى حد الجنون في قارورةِ الجسدِ؟
أي معنى لهذه الشهوةْ؟
أي معنى لهذا الجسدْ؟
أي معنى لتكرار الليل والنهار
الليل أنثى
والنهار ذكرْ
تنفتح السماء كهاويةٍ ولا نرى في الأفق غير قوس قزحٍ ومطر
الرصاصِ الأحمرِ
وفي الهوة تكمن مناجم الفحمِ
ومنابت النحاس والقصدير
وأدواتُ الجنسِ
وهي أدوات الحضارةِ التي لم تلدْ ولم تولدْ
لن يعرف الجنس طعم الروح إلا إذا اقترب من نوافذِ الجسدِ وشراعاته
هكذا
يتحول الجسد إلى صراخٍ وتشنجاتٍ
وتتحول الروح إلى حضارةٍ...
لماذا تقابل الغزالي أيها السيدُ؟
هل قطعتَ تذكرة السفر من قرطبة إلى تونس
ومن تونس إلى مصرٍ
ومن مصر إلى خراسانٍ
ومن خراسانٍ إلى مكةَ لكي تهدم الفتوحات

وتشعل النار في تنزلاتك الليليةِ وكتابِ الحكمِ و الفصوصِ
وتنتحر مع الحكيم الترمذيِّ بحثًا عن الأسئلة وانتظاراً لإجابات الغياب؟
وماذا أنت فاعلٌ بترجمانِ الأشواقِ؟ و...
[هبطت إليك من المحل الأرفعِ...
ورقاء ذات تدللٍ وتمنعِ...]
هل تحولت اللغة بين يديك إلى عدمٍ محضٍ؟
واتخذت المعاني طعم أجساد النساء فلا يتشابهن إلاّ في الرغبة
ويختلفن عند كل ثنيةٍ ونومةٍ..؟
في كل ليلةٍ تسهر على الحروف والكلمات وتقدم للمعاني فحمة الروح
ما الذي سيفعله الغزاليُّ لكَ؟
ستقف بين برزخِ الموت والحياة وتقصص رؤياك إذن
[... سيكيدوا لك كيداً
وتكيد لهم كيدا...]
... سيقهقه الغزاليّ
ويهش بجريد المعاني على اللغةِ وكتبِ القواميسِ وكراساتِ المعاجمِ
و.. ستنقلب خراسان عليك ويتبعك الرعاعُ إلى
مشارق الأرضِ ومغاربها
ويشهرون في وجهك المناجل والسكاكين ويتبعونك بالهراوات والقطط
المفحمة
المشتعلة
سيختلط دمك بالأرض
ويتربص بك الأعداءُ وتلاحقك الهزائمُ آه...
ماذا أفعل؟
غير أن أنكفئ على الركن اليمانيّ وأتوضأ وضوءاً ظاهراً وباطنًا
وأصلي صلاةً خفيفةً خفيةً
ولا أكلم الناس ثلاث ليالٍ إلا رمزاً
هكذا... هكذا
يمسك طائرَهُ إليه ليكلمه بالليل ويطلقهُ بالنهار
ويتوضأ بدمه خمس مراتٍ في اليوم والليلة ويصلي صلاته

الخاصة بوقته الموقوتِ
ولا يدخل المسجد إلا خلسةً وهمو قعود ينظرون فيمشي على الماء
ويكلم من يشاءُ بما يشاءُ
وينفرط على الحيطان بلا حروفٍ ولا كلماتٍ
يضع قلب العالم في اللغة
ويضع اللغة في قلبِ العالمِ
ويتصيد للغةَ الأخطاء فيضع عليها الأستارَ لئلا تنكشف
ويسمي اللغة سيدةً فلا يعرفها إلا هو
فتارة يسمي اللغة عزة
وتارة لبنى
وأخرى زينب
أو بثينة...
وفى كل مرةٍ يخترع لها الأسماءِ والأوصافِ
ويقيم لها التماثيل والتصاوير وهو قائمٌ يصلي في المحراب
وعلى صدر كل واحدةٍ منهن يطلق قمر الرغبةِ الأخضرِ
ليكشف له عن فحمة الروح
تحت قبة الجسد وانهياراتِهِ
فإذا كان بالليل أطلقَهُ
وإذا كان بالنهار أخفاهُ
وفي كل يوم يزور أو يزار وهو بعيد عن البصاصين والرقباء
ويهمهم بكلامٍ أقرب إلى المناجاة
والتواشجاتِ
انطلق
انطلق
انطلق يا ابن العربي إلى فضاء الكلمات واحتكم للرمز
والجأ لحكم الإشارة
هذه هي صحراواتُك الواسعةُ التي ليس فيها إنسٌ ولا جانٌ
هل تصغي لوهوهةِ الريح وحديثِ الحرفِ للحرفِ
إذن

كيف أصف لك هنداً ودارميةَ بالجواءِ وسقط اللوى بين الدخول
فحوملِ؟
كيف أقبض بيديَّ على اللغةِ وأحرر الكلمات من حدود الرمز والإشارة
وأنطلق بها إلى ما يناسبها من معنى ومداراتٍ؟
يا هندُ
ماذا سأسميك؟
أسميكِ جوهرة العالم ولؤلؤة الوقت
وقارورة السماوات
والأرض
أسميك تاج الملوك وخاتم سليمان
وأرسمك على شباك بيتي فضاءً واسعـًا وذا تصاميم
وأكتب اسمك بلغةٍ في عالمٍ لا يعرف حدودها سواي ولا
يفك طلاسمها غيري
آتيك خفيةً
وآتيك ظاهراً وباطنـًا...
آتيك مسلحـًا بالمعنى وقانطـًا من كل معنى
آتيك وقد اكتملت الدائرةُ من ألفها إلى يائها
وما المحيط سوى اسم من أسمائكِ التي لا هي جوهرٌ ولا إنيةٌ
ولا هويةٌ ولا وصفيةٌ
ولا ذاتٌ ولا صفاتٌ
وأنتِ.. أنتِ قطب الدائرةِ ورحى المحيط
يا هندُ
ماذا سأسميك
أسميك نفسي
يا زمردةَ الزمرداتِ و يا معنى المعنى
أية سماءٍ تحملك
وفي أي أرضٍ تنصبين خيامك؟
ولماذا يقف الحراسُ على أبوابك و همو همو من حملة السيوف والأقلام
ليطردوا كل عاشقٍ

ويدونوا ما يقول من كلامٍ وأضاليلَ؟
يا هندُ
ماذا سأسميك
أسميك نفسي!!
سأدلق على الورق من حبر الكتابة ما يكفي لكي تتشكل الحروف كلماتٍ
كلها
لك
لكِ أنتِ وحدك يا هندُ
سأسميك فضاءً
وأكتشف بنفسي مجراته وكواكبه وما به من جزرٍ
وسأنتمي إلى لغةٍ خارج اللغة وأحتطبها – كلها – لنفسي
وسأكتب على مقاصيرك ما لا أبوح به إلا ليْ وسأنتمي إلى زمنٍ
ليس كالزمنِ
وسأجعل الزمن يتوقف أمامكِ بمرساته وعجلاته الخشبية
وسأخرج من فضاء الهوية إلى فضاء الإنية
ومن حدود الجوهر والعرض إلى المعنى ذاته
وسأضحك من نفسي وأقولُ:
ما تتبع إلا الظنّ
نعم... نعم.. هو.. هو ظن الحقيقة ولا شيء غيره
هل من كلامٍ أكتبكِ به يا هند
وهل من فضاءٍ آخر أحاصرُكِ فيه؟
هكذا سيكون على الغزالي أن يتشبه بالريح
ويواصل السفر على حوافِّ الدائرةِ إلى أن يبلغ المحيطَ
كلا.. كلا..
سيرنو إلى المركز وهو عالقٌ بالدائرة وكلام النهايات
سيحمل ما يجمع من ورقٍ أبيضَ ويلقي به إلى الفضاءِ ويقول كلامًا
بلا توجساتٍ
ويحيل المعنى إلى ترهاتٍ
سيكون على الغزالي أن يتعلق بقصبِ اللغةِ

ويقابل الجاحظ على قارعةِ الطريقِ
هكذا تكون المعاني
يقدر أن يقول لجسدهِ اتبعنيْ وللأرض التي يسير عليها
استديريْ إذن فتدَّحرج – الأرضُ – تحت قدميه كفكرةٍ من حقيقةٍ
وأناءٍ من كلامٍ...!!
آهٍ...
على وسادة الذاكرة يسقط حليب المرأة الساخنُ
طائر الموت يهاجم الشواطئ ويتخذ من البحر أنشوطاتٍ لأغانيه
أسماك القرش تتكوم كالجثث على رمل الشاطئ
وعلى مشارف الطرقات يفتح العدمُ فمَهُ
كالحقيقةِ المرّةِ
ليس على الليل أن يكون صديقًا للنهار إذن
فلتسمح لي أيها الضوءُ أن أضع صرة مواويلي بين يديك
وأتسلق السماء كالقردة
والنسانيس ولا أبالي
هل أزهر الكرم؟
هل نور الرمان؟
على الأرض تسقط غيمةٌ وحيدةٌ منكسرة
وأقبض بيدي على الهواء وأسند ظهري إلى الحافة
وأتمدد كالفطرِ ما بين الضحى والليل إذا سجى
وأقرأ ما تيسر من قصار السور
وأخبز امرأةً ما وأعجنها في قطيفة الضوء
واستخرج لها من فضة الجسد ما يليق بالجسد من تحايا ومواويل
ها هي المرأة مستندةٌ بجذعها على السماء الأولى
فأعرجُ إليها في يومٍ كان مقداره خمسون ألف سنةٍ ولا أشعر بعدد
السنين والحساب
وما بين كل عروجٍ
وعروجٍ
أفتح مغاليق الجسد لأخرج ما به من ذهبٍ ويواقيتَ

وما به من كلامٍ وأضاليلَ...
فأقهقه كالقبراتِ
وأنام هادئـًا في الفراغ المحيطِ بي ولا أحدق في خارطةِ
الوقت
هل نَمَتْ على إبطِ المرأة شمس الذاكرة؟
هل صعد الرجل على هضبة الجذع واقتفي أثر السرة وتجول في
حديقة النهدين
وملأ الكفين من عجينةِ البطنِ
وانتظر أن يموت على كفل امرأةٍ ما
كيف أجمع لهذه المرأة من الحكمةِ فوق ما يقدر عليه سقراطُ ولا يخطر
على قلب أفلاطونَ
وهيرقليطسْ؟
كيف أقيس الرغبةَ بالأبدِ ولا أقيس الأبدَ بالرغبة؟
هل نَمَتْ على إبط المرأة شمس الذاكرةِ وطفا الجسد غريقـًا
على اسطوانة الردفين
وامتد البحر من خليج الخاصرة إلى بوابات العُنُقِ وسدرةِ الرأسِ
ومتى أفتح البوغار كالقراصنة وأقعد على صخرة الجسد في اليمِّ؟
هنا...
حيث تنطبقُ السماءُ على الأرض
وليس من بوصلةٍ سوي إحداثيات الروح...
هنا سأدعك الزمردَ بالزمردِ والعقيق بالعقيق
فلا يُرى سوى محاراتِ الضوءِ
ولا أمسك إلا بقطيفةِ الألوانِ
إذ ذاك ينعدم الزمن وتسترد الروح ما لها أمام ما يسمى بالجسدِ
هل أرتعد أمام الحقيقةِ التي تسمى
المرأة؟
في الصباحْ
سأنزل إلى البحر
وأخلع ما عليّ من سراويلٍ وأضغاثِ أحلامٍ

وأعيد إلى اللؤلؤِ هدوءَهُ
وسأقبض على نجمةٍ ضالةٍ في الأعاليْ
وأدعها في رحم المحارات – عدة قرونٍ – وذلك دون أن يشعر بي أحدٌ
وأجلس وحيداً على رملِ الشاطئ
وأتنفس هواء الحرية الأولىْ
وأقول للموتِ:
أيها السيدُ...
أنت هزيمة الجسدْ...

3 – أنا مشغول عنك بالمرأة – أنت مشغول عني بالعبارة

هأنذا
أجلو بهاء الماءِ وأجرح لؤلؤة العرشِ
أنكشف مثل قبةٍ
وأنفتح كهاويةٍ..
فأدثَّر بجلابيبي وألتحف برطوبة السماء وأنخرط في كلام الرؤيا
وتآويل الأخاييل
هل سأكتب تاريخَ الأرضِ
وأدَّحرج مثل قشةٍ
على وجه الغمر؟؟
كيف كانت البداية إذن؟
هل انكشف ستر الجسد على الجسد؟
أتخذ من النوم أغطيةً ليْ وأكنس الزمن بأصابعِ الليل والنهار
وأتوقف أمام عجلة الموت والحياةِ
لأصنع حياةً خاصة بيْ
وموتـًا يليق بجلاليْ
فلا أفارق ما أنا فيه من خيالاتٍ وصورٍ حتى أكون حَرَضًـا
أو أكون من الهالكينَ

تلك لؤلؤةٌ في السماوات البعيدة تطلع من جوهر المعرفة
وشجرُ السيدة وهو هالكٌ يزهر ويكبرُ
وهي هي ما بين السماوات والأرض كمشكاةٍ فيها من الجواهر المكنونة
المنكشفة
ما لا عين رأت
ولا إذن سمعت
تأتيها بالنهار
فإذا بك واجدٌ عندها من الكلام الشهيِّ والرطب ما لا طاقة لك به
أو تخيله
فلا تملك إلا أن تأكل وتسمع
وأنت ما بين الأكل والسماع الشهيِّ مندهشُ القلب ومنعقدُ اللسان
وها هو خمر السيدة لما يكادُ ينفدُ
ويدخل عليك بين يدي امرأةٍ ثملةٍ من اليواقيت والمرجان
وما أنت بقادرٍ على أن تنظر لا إلى هذه ولا تلك...
فقط
عينان أنت من الخرزِ الدائبِ المتحركِ ذات اليمن وذات الشمال
فلا هي الحركة
ولا هو السكون
وفيها من كل شيء وما هي بشيء مما يجعلك تقف على شعر رأسك وتقتربُ من
حافة الجنون
وتقلب الطرف في السماوات والأرض
هل هذه هي السيدةُ؟ أجلْ.. أجلْ
ثم ينقلب إليك البصر خاسئًا
تلك منازلُ السيدةِ
وهي تتراءى لك ما بين الصخب والدهشةِ وأنت واضعٌ أصابعك في آذانك
حَذَرَ الموت فلا تحس إلا بلذة النكاح
وينفرط الباب عن آيةٍ – واحدةٍ – من آياتها التي لا تعدُّ
فترتبك الذاكرةُ
وينحلُّ عسل اللسان ولا يتبقى لك من الكلام سوى حروفٍ صائتةٍ وصامتةٍ

وكلامٍ بلا معنى فقط
تقرأ على الأركان ما لا تعرف وما تحاول أن تعرف من لغاتٍ
وتكتب بيدك ما لا تفهم من كلامٍ
... جسد لكْ
وجسد عليكْ ...
وما بين الجسد والجسد روضةٌ واسعةٌ لا يحدها الطرفُ
ولا تقطعها الخيالاتُ والأوهامُ
هذه هي حياتك الموصولة وتلك جنتك الموعودةُ
فاختر لنفسك في أيِّ صورة ما شئتَ أو ما شاءت السيدة
والتحق بك قبل الفتق والرتق
فلسوف يأتي الليل والنهار عليك وأنت ثملٌ وسكرانُ
ولسوف ينهزم النهارُ أمام تحديقك الدائم في جوهر السيدة
فهل أنت مجنونٌ دائمـًا بما تعرف وما لا تعرف
ومجنونٌ بما لا تعرف أكثر مما تعرفُ
وكيف ستبوح إذن بما رأيت وما رأيت ثمَّ رأيت
ادَّكر أيها المندغم في الزمن
من أذن لك بركوب ناقة النهار على حافة الليل ومن أذن لكَ بركوبِ البرق وأنت على حافة النهار والليل
ولا من موعدٍ لك منظورٍ أو غير منظورٍ فتلتف حولك الأممُ
ويخرج إليك الشماريخ من كل فجٍ
ويتبعك الحمقى والمجانين وما أنت ببالغٍ ما تريد مما تريد
وهذه هي السيدة ما تنفك تتسلل إليك في وضح النهارِ
فتفسد عليك بهاء الليل ويقظةَ النهار
صهٍ
صهٍ..
سوف يدخل علينا الحرسُ بغتةً ونحن لا نشعرُ
سأكتب عليكِ تفاصيلي أيتها المرأة
فاكتبي – إذن – عليّ من كلماتك وحروفكِ ما لا أبوح باسمه لأحدٍ
سوف أجعل من الريح أغنيةً لكِ

وسأخيط اسمكِ باسمي
وأشبك الذاكرة بخدع المرايا وأخيلةِ التصوراتِ
واقفة أنتِ كالأراكِ
نعم
نعم
سأخيط اسمك باسمي
ولا أبوح لأحدٍ سواي
ولا أجعل من الخيالات والأوهام مستقراً لي
وأقف عند زاويةٍ ما
في سماءٍ ما...
أعرف
أعرف
ها هو ذا صديقي الخضر يدخلُ
ويترجل على الماءِ
ويقيس الأبعاد بخيوط الهواء
ويكلم الريحَ
نعم.. نعم يكلم الريح بالسبابة وينشر الكلام بالفقاعات
ويقبض على الهواء بصنَّاراتهِ
ويصرُّ الماء في صرةٍ
ويصعد الدرجَ
هل صعد إلى السماء ونزل هل صرَّ الماء في صرةٍ؟
كيف تكلمتَ مع الريح يا صديقي؟
هل تعلمت لغة الطير؟ وماذا قالت لك النملةُ؟
هل تقبقب الرمل تحتك ذي الأبراج؟
وماذا عن الزمن؟
هل قابلت ابن داوود عند قبة الصخرة؟
وما هي حقيقة سِفر الجامعة ونشيد الأنشاد؟
وكيف تعلمت كلام الرمز
ومن أين أتتك لغة الإشارة؟

أعرف

أعرف...

ها هو ذا صديقي الخضر

[ما من مرةٍ رأيته إلا وسمَّيت...]

– فسمعت طقطقة في السماوات وجلبةً على الأرض –

وما من أحدٍ يصرخ في البرية

سنسهر الليلة عند جبل جلعاد

ونتوضأ وضوءاً

ظاهراً

وباطنـًا

يأتي إذن صديقي الخضر

فيدخل قفص الماء وينزل إلى شبكة النهار

أي صلاةٍ تقودها؟

أي جسدٍ يقودك؟

أي امرأةٍ تتبعها من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض

وأي زمانٍ تترجل فيه؟

كيف تفض خواتم السيدة وتنسج قبعة الغيم

وتدهس غابات النار؟

هل لاقيت المرأة

وعلام تفتش...؟

قل لي:

ما هي غايتك

وما هو ميعادك؟؟

هل كان محيي الدين بن عربي يتبعك من طنجةَ ويراك بتونس

هل تسوق الغيمَ

وترعى الكواكب وتحتفي بالنجومِ ومثلما تحتفي بالحصى؟؟

هل تنكفئ على الليل لترقع جلابيب النهار

وتنكفئ على النهارِ

لترقِّع جلابيب الليل؟

آه

ه... هـ ... أ ... أ... آ... آ...

ها

ها

ها

سأقود الريح إلى مجاهل الغبار

سأتشكل كالطواسين

وأتتبع آثار الحلاج

وأقتفى كلام السهروردي

وأجلس أمام النفري فأتلو سورة الكرسيِّ على حصيرٍ بالٍ

وأفرُك الحصي بيديّ

وأغتسل من الرمل بالرملِ

مراتٍ

النفري يختزل الكلام إلى الحرف

ويختصر الحرف إلى الإشارات ويختصر الإشارات إلى التلويحات

ويختصر التلويحات إلى الصمت

هل من كلامٍ يقدر على السكوت؟

لم يعد النفري يقبّل القسمة ولم يعد يغتسل

لم تعد اللغة مجرد مجازٍ

فقط شبكة علاقاتٍ

وأحاييل ألغازٍ

ها هو – يطيِّرها في الهواء كيف يشاء ويطلق خلفها معانيه –

النفريُّ يضيق باللغة إذن

واللغة تلصق بالفم وتتشكل بالهواء

فلماذا يتربع النفري على خوان الرغبة وحده؟

ولماذا يحبس المعنى في خميرة المجاز هذه؟

ويركِّب الصورة على جدار اللغة

وحواف الحرف؟

أي كلامٍ لك لتقوله يا صديقي الخضر؟

أي معنى سوف يجري وراءه شيخي محيي الدين بن عربي
وهو يكتب الفتوحات حرفـًا
حرفـًا
وكلمةً كلمة
وفصلاً فصلاً
هل يطارد المعنى خلف كل جسدٍ ويخلع تابوتَ اللغةِ ويفكِّك الكلام على فوَّهة الكلامِ
ويوصي بالجسد خيراً
أم يكون نطفةً من مني يمنى؟؟
جالس أنت يا صديقي الخضر على فرشة الصلاة
وأمامك سجادات الغيم وسيمياء الحرف
ترتل ما تشاء من اللغة وتخترع من الكتابات ولمَّا يعثر أحد عليك
وأنا
أبحث عن امرأةٍ ما
في بلدٍ ما
تحت سماءٍ ما...
أنت تضحك من بلاهتي ورشدي
لم يكن لك أن تغفر ليْ
ولم يكن لي أن أغفر لكْ
كل شيء إذن عندك بمقدارٍ
أما أنا...
فأترجل بين الخرائب كالديناصورات
سأجد على النار هدى
وهي..
هي المرأةُ أتبعها من بلدٍ إلى بلدٍ
وتتراءى ليْ كالسراب
فأحسب الكلمات ماءاً وأنحدر إلى الرملِ
تحت نهارٍ صائفٍ
وصحراواتٍ مشمشةٍ

قل لي:
ما هي علامتكَ؟
وما هي أوقاتكَ؟
انظر:
لم يزل الغزالي يفتش عن إجابةِ السؤالِ
ما هو شكل الروح إذن؟
هل هي شكل الجسد؟
أم أن الجسد يأخذ شكل تفاحةِ الروحِ؟
يضحك النفري
[... يا ضعيفُ
وارِ جسمك
وار قلبك. وار قلبك
وارِ همك
وارِ همك
ترنى...]
لم يزل النفريُّ قاعداً عند بوابةِ الهواء
كيف حال الغزالي؟
يربط التاريخَ إلى ظهره ويحمله من بلدٍ إلى بلد
ويجلس إلى دواته وأوراقه آناء الليل وأطراف النهار
هل يعثر على المسألة إذن؟؟
لم يزل يفتش في الكتابة القديمة
ويكتب عن تهافت الفلاسفة
حائر إذن
كيف يفتش عن جذر الكلمة فلسفةٍ في القواميس والمعاجم
وينحت من اللغة ما يلائم المعنى
ويكتشف من المعنى ما يخرج عن حدود اللغة وقدرة الكلام؟
إنه
يخمش العتمة ويؤجِّج الظلام بأفكاره

– ثمة مشكاةٌ في البيت إذن –
يجلس منفرداً
ووحيداً كالضالين
لا تؤنسه إلا وحشة أفكاره
هذا الحائط كم راقبه آلاف المرات
ماذا أفعل؟
لا شيء سوى كلماتٍ..
هل نسي المرأة واتخذ من النار خليلاً؟
ماذا يفعل قدام الموقد في ليل القر؟
سيذوق النوم إذن
لا شيء سوى كلماتٍ –
في البدء كان الكلمة
ماذا أفعل بالكلماتِ إزاءَ الواقعِ والتاريخِ؟
آه..

[يا خائط العوالم خِطني...!!]

كان لا يعرف من الكلمات غير اسمها
في كل يوم يكتبه على حافة الريح ويسأل الشجر أن يزوره
والقمر أن يأتي إليه ليسأله
كان يفك شعر كل امرأةٍ ويشبك فيه خصلةً من شعرها
كان يعرف أن اسمها بلقيس
أو ربما هند
أروى
زينب
عزة...
أو مي؟؟
كل الأسماء خارجةٌ من اسمها
كيف يشرح حاله للغزالي؟
كيف يقول للنفري أنه يحب امرأةً بعينها

كيف يكتب على جسمِها من بدائعِ صنعهِ وهى تنفرط أمامه كاللؤلؤِ والعقيق

وتنفلت من بين اصبعه

كالضحية...؟؟

مَنْ بالباب إذن؟

ادخل يا صديقي النفري ادخل

أنا مشغولٌ عنك بالمرأة وأنت مشغول عني بالعبارة

وما بين المرأة والعبارة

مثلما

بين السماوات والأرض من تفاوتٍ

ولكنك لا تعرف أي امرأةٍ أعني

ولا أعرف أي عبارةٍ تعني فقط..

تصل ما بين اللغة من إشاراتٍ وتماحيك

إلى أن يكتشف كل منا فِي كلام الآخر ما ينوء بحَمْله من خيالاتٍ وصورٍ

هل تعرف ما يقوله صديقك محيي الدين بن عربي

[ليت قلبي هل دروا أي قلبٍ ملكوا

وفؤادي لو درى أي شعبٍ سلكوا

أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا

حار أربابُ الهوى فِي الهوى وارتبكوا]

كيف أخيط بك من الحروف فوق ما يقدر المعنى وأقدم لك من العقيق فوق ما تحمل اللغة

أنا وأنت نقيضان فِي كل شيء

أنت تقبض على اللغة فتأتي لك بالعقيقِ وأمسك أنا باللغة فلا أقبض إلا على المجازات والريح

تلك اشارات البدد والبدء

فكيف حال الخاتمة إذن؟

أي امرأةٍ تعني يقول الغزالي

سمها؟؟

هي الشيء ونقيضه
هي هي
الحركةُ والسكونُ الجوهرُ والعرضُ اليقظةُ والنومُ
هي الموتُ والحياةُ ولا شيء بعدُ
لا... لا... سمها؟
هي الليلُ والنهارُ
وهي هي ما بين الوريد والوريد من قبض وبسطٍ
وما بين الروحِ والجسدِ من تماسٍ وتماسكٍ
سمها؟؟
لو كانت هي السماوات والأرض لما قلت هي
سمها؟؟
لو كانت هي الليل والنهار لما قلت هي
سمها؟؟
لو كانت هي الشمس والقمر لما قلت هي
هي الكلمة مطابقة للمعنى
هي اللغة خارج اللغة ومعنىً ليس كالمعاني أيٌّ موقفٍ خارج
المواقف؟
كل يوم هي في لغةٍ جديدةٍ ولباسٍ جديدٍ
وما أنا بقادرٍ على أن أبسط يدي لأقبض على صورةٍ من صورها
سأحتفظ بها في الذاكرة ولا أبوح باسمها لأحدٍ
من هي السيدة إذن
تكامل الوصف؟
لا... لا.. هي الزمانُ والمكانُ
الملاءُ والخلاءُ
سأجرح الذاكرةَ على قبعات الريح
وأكتب عن تفاصيل السيدة وأدوِّن مالها من خيالاتٍ على قبة
الجسد وسأغرس أصابعي العشر في زرقة البحر لأكشف عما به
من لآلئَ وطرقٍ ثمة قراصنةٌ يبحرون في الليل
وها هي الريح تعوي...

ادخل يا صديقي النفري ادخل
فمازلنا في أول الليل
ما زالت الصلوات في أولها
والنهار لم يكشف بعد عن طيوره
وأساطيره
ماذا تفعل في هذي الهدأة؟
سيقول الغزالي:
لم أكتشف بعد علاقة الجسد بالروح
وسيقول النفري: لم تقبض بعد كلماتي على العالم
سأقول: إذن
سأفتش عن دودة الروح بين كثبان الجسد ومنحدراته
وسأوقد مشكاة البيت على شفا جرفٍ هارٍ
وسأعمل من اللغة خبزاً للجسد
ومن المعاني تنانير لأهازيجهِ وأغنياته
لماذا لم يعد الخضر؟
هل راح يكلم موسى على صهوةِ الريح؟
سأشرح للجسد – إذن – علاقة الجسد بالجسد وأكتب على
صخرة الروح
ما أشاء من الأسماء والمسميات
وأجلس على الحافة
أنصت لصنانيري وهي تغمز لسمك الماء
وأصغي لوهوهة الشمس
وبخارات الروح
وأفترش ما أشاء من العشب على صفرة الرمل
هل ستأتي الشمس متأخرةً عن ميعاد كل يوم؟
سأكتب على الماء ما للسيدة من كلماتٍ وأجمع لها من الصدف والمحارِ
ومن الصفات ما تعرف وما لا تعرف
وأقعد تحت عريشة الجسد وأسبِّح تسابيحي الخاصة بيْ
وأنتهز فرصة ولوجِ الليلِ إلى النهارِ وولوج النهار إلى الليل

وأنتصب مثل قارةٍ
ضالةٍ
في عرض البحر
لأهب للصيادين المأوى
وللقراصنة الخبز
والدفء
لماذا تذكرت ذا النون؟
آهٍ
ماذا عن ذي النون؟
ي... آ.. ه يا صديقي النفري
نحن في البداية إذن
حسنًا
حسنًا
تكلم بما تعرفُ وسأتكلم بما أعرفُ
خرائبُ الذاكرة تغطي حدود الرؤية
شجر الإيلاف ينكسر
وتتكوم أوراق التذكر في الحدائقِ
السماء مكشوفة لي
والقمر يتلألأ على السطوح ويعشش في الخرائب
وفوق العشش القديمة
يرتكب الحماقات
أيتها السيدة:
ما بال النسوة في المدينة بي وبك؟
سأنجرح مثل وردةٍ تسيل على الأفق
وأكتب بدمي على الجدران والحوائط من المعاني والكلام بقدر
ما أحمل من عشقٍ
وما أتحمل من مشاقٍ
هل تكشفين عن جواهرك المكنونة لي
فأكشف لك عما أحمل من مودةٍ وامتثالٍ؟

سأسوي لك – وبيدي هاتين – أريكتك الخضراء
فاجلسي عليها آمنةً
ومطمئنةً..
ولتنظري إلي الزمن فما زال في الوقت متسع
وافسحي للسفن والقوارب كي تدخل الميناء
أيها الخضر يا صديقيْ قل لي:
ماذا أفعل ببقية النهار وأنا أتفحص قبَّة السماء
وأقلب طرفي فلا أراها آتيةً بغيمٍ أو نازلةً عند جماعةٍ ما
فأكون لهم صديقـًا
ماذا أفعل بكلام النفري وهو جالس في صومعتهِ يرتق الحصى
ويشبك كل نجمةٍ ضالةٍ بكل نجمةٍ ضالةٍ
ويقول كلامـًا لا أعرفه وليس لي عليه من سلطانٍ
قل لي:
ما بال القرون الأولى
كيف استطعت أن تقطف وردة الشمس وزنابق الليل؟
كيف استطعت أن تصمد لغواية الجسد
وتفر بجلابيبك إلى الكلام؟
ولماذا تشبك النهار في شخاليل الريح
وفى آخر الليل ترمى النجوم في اليم؟
ها هموا أصدقائي أتوا من مكانٍ بعيدٍ آه..
لا أقدر أن أفتح لهم الباب أو أغلقه بالرتاجات
سأنكسر مثل موجةٍ
وأنحسر كالطوفانٍ...
أيتها النسوة:
يا خلاخيل المدينة و يا ذهب الأرض
قولوا لي: أين ذهب حبيبي وما هو ميعاده؟
سأنتظر النهار إلى أن يأتي من جهة الليل
وسأنظر إلى الليل إلى أن يأتي من جهة النهار
يا خلاخيل المدينة

و يا ذهب الأرض
قولوا لي:
أين ذهب حبيبي وما هو ميعاده؟
لِمَ لا تدخل يا ابن رشد؟
هل نالك من ذهب قرطبةٍ شيئـًا؟
سأكشف لك عما يقوله النفري:
[... إذا اتسعتِ الرؤيةُ...]
وسأقول لك ما قاله الغزالي في كتابه الإحياء:
[قيل لداودِ الطائي ألا سرَّحت لحيتك؟!
قال:
[إني إذن لفارغُ]
لم يزل محيى الدين بن عربي يناشد الحروفَ ويمسك بتلابيبِ اللغةِ
فتنهمر الكلمات من بين شفتيه كالكواكب
هل ستتجه إلى خراسان؟
ولماذا تخفى عنا امرأتك
وما كتبت ما كتبت إلا من أجل خلاخيل رجليها وعجين سُرتها
وذهب بطنها الإبريزِ..؟
هل تخفي عنا امرأتك
وأنت في كل ليلةٍ توقد لها البخورَ وتلقى حول صدرها بالأحجية
وترقيها بالرقي والتعاويذ لئلا يتخطفها الشيطان من المسِّ
فيندلق حبر الكتابة على ترجمانِ الأشواقِ
وتقوم إلى كتاب الإحياء كي تقرأه
فلا ترى فيه إلا صورةً من صورها؟
أصدقائي كثيرون
تقدمي يا بلقيسُ
تقدمي..
تقدمي من شجرة الروح ولتصعدي للأعالي
اكشفي عن وهج اللجة اكشفي..

ما جدوى الزمن في المتاهة وما جدوى المتاهة في الزمنْ؟
هل الزمن غير ما نحسه؟
من أغراكِ بهزيمة الجسد
ومن أغرى الجسد بهزيمة الروح؟
إذن...
سنصعد معـًا صوب سبأ
ونتوقف قليلاً فوق جبل جلعاد
انظري:
في الأعالي شجر
في الأعالي نجوم
كيف تركت المُلك لسليمانَ بن داودَ
وكيف ترك سليمان بن داود المُلك لأجلكِ؟
هل كانت صلواتكِ سكنـًا له؟
انظري:
إنه يشعل النار في الوقت وينحني على العرش كي..
يخلط الماء بالماء
ولا يكشف عما في الروح من تسوسٍ
تلك دودة الروح تنهش
وها هو واقف يفتش عن الأسئلة ولا ينتظر الإجابات
السماوات فارغةٌ
والأرض مطويةٌ وبلا نهاياتٍ...
واللغة لا تعبر عن الحقيقة
فكيف يمسكك بجوهرِ اللغةِ ليعبر عن كينونة الماوراء
وها هو ذا يدرك عجز اللغة فينكفئ على الرمل ويخط بعصا الهيولى على جوهرِ الرمزِ
أيةُ جوهرةٍ تلك التي يفتش عنها وهو يكلم الريح
ويسخر الجن ويطير في الهواء
ويمشي على الماء
لم يزل في شجر الكلام من اللغو فوق ما يحتمل
سيكشف أن الأرض أضيق مما بين أصابعه من مساحةٍ

عندئذ سوف يخبز الزمن في تنور الأبدِ والأزلِ
ويصنع من بخاره أجنحةً ليرى بها الأبدِ والأزلِ
وهو غارق في التساؤلات
هل أسرتك المرأة يا ابن داوود؟
ببهائك ينفلق الضوء
وتكتسب اللغة من الكمالِ والجلالِ ما لا أحيط به ولا يحيط بي
بك أقترب من المعني
وألتف حول الأسئلة
وأنزل من فوَّهة الزمن
فأقبض على الأبد والأزل وأقول:
أنا الأبدُ والأزلُ..
لم يعد ثمة أين
ولا متى
أو كيف..
أتقدم نحو الأسئلة ولا أبحث عن الإجابات
فقط أغسل خوفي بماء البحر
وأتطهر من كل وسواسٍ ورجسٍ
وأمسك الصمت بيميني وأدحرجه كاللفافات
وأنغرس في اللاشيء
وأكون الشيء ونقيضه
فلا كونٌ ولا عدمٌ ولا جوهرٌ ولا عَرَضٌ ولا ماهيةٌ ولا هويةٌ
ولا آنيةٌ ولا إنيةٌ
ولا أينيةٌ
فقط أنا
أنا كل شيء وأنتِ..
أنتِ كل شيء..